المجلد: 17 العدد: 02/ مارس 2022
ص: 382 - 393
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

ضروب الكلام على الكلام، بيان حدود الإيحاء واللغة الواصفة

Of Speech on the Subject of Speech: Drawing the Line Between Connotation and Metalanguage

د. دايري مسكين *
جامعة د.مولاي طاهر –سعيدة (الجزائر)
dairi.meskine@univ-saida.dz

تاريخ الإرسال: 2021/05/07 تاريخ القبول:2021/06/08 تاريخ النشر: 2022/03/28

ملخص: هناك مصطلحات يكثر تداولها في الخطابات النقدية الحديثة (اللسانية والسيميائية بالخصوص) من دون معرفة دقيقة بمدلولاتها العلمية، مما يؤدي بالخطابات الواصفة إلى خروجها عن مسار العلمية المنشود. ولذلك عمدنا في هذا المقال إلى استعراض معاني بعض المفاهيم السيميولسانية التي كان لها عظيم الأثر في تأكيد سمة الموضوعية والدقة العلمية في الخطابات النقدية الحديثة كمفهوم : الإيحاء connotation ، التقرير dénotation، اللغة الواصفةmétalangage، المدلول الجماعي signifie mondain، المدلول اللغوي signifie langagier . ومن اللازم التأكيد أنّ الشروع في معرفة أي علم إنما يبدأ بمعرفة مفاهيمه ومصطلحاته ولغته الواصفة الخاصة

الكلمات المفتاحية: الكلام، اللغة ، الإيحاء، اللغة الواصفة , العلامة، عالم الأشياء، عالم اللغة .

ABSTRACT : There are several terms that are being used in modern critical theories—particularly linguistics and semiotics—without accurate comprehensive knowledge of their scientific significance; metalanguage discourse, as a result, deviates away from its intended scientific course. In this article, we showcase the meaning of some semio-linguistic terms that had a tremendous effect on emphasizing objectivity and scientific accuracy in modern critical theory, such as: Connotation, denotation, metalanguage, the linguistic Signified, and the mundane (semiotic) signified. It is also important to emphasize that acquiring knowledge in any discipline starts with learning its concepts, terms, and metalanguage

Keywords: Language, Speech, Material world, Linguistics, Connotation, Metalanguage, Sign

1. مقدمة:

بإمكان الكلمة الواحدة التدليل على معان عديدة، وعلى دلالات مختلفة كما بإمكان المدلول الواحد أن يعبَّر عنه بأكثر من ملفوظ énoncé. وهذا الذي يؤكد، من جهة، سِعة الظاهرة اللغوية الدالة على "عالم الأشياء" وعلى "عالم الفكر"، وعلى الوجود البشري ذاته بوصفه "علامة" "Signe" كما تصوّره "ش.س.بورس " "C.S.Peirce" ويثبت من جهة أخرى، اجتماع موضوعي: "اللغة" و"الدلالة" في كينونة واحدة، وفي شكل "ثنائية تلازمية" لا تثبت قيمتها إلا بالتقاء طرفيها.

وقد يمتد الإجراء اللغوي إلى أن يتخذ من اللغة نفسها موضوعا لاستكشافه، والمقصود في هذا المقام "اللغة الواصفة" "Métalangage" (أو "ما بعد اللغة")[1] التي أسند إليها "جاكبسون" " Jakobson" وظيفة

* المؤلف المرسل

خاصة، تتكفل بالنسق اللغوي ذاته باعتباره موضوعا قابلا للوصف والدراسة على الرغم من اختلاف العالم اللغوي الذي يحيل إليه والذي ينتمي إليه في الوقت نفسه.

لكن قبل الشروع في تحديد هذه المفاهيم يبدو أنه من اللازم الانطلاق من عتبة تحيط بمعنى المفاهيم الرئيسة كمفهوم الكلام واللسان والعلاقة الجامعة بينهما، وكذا مفهوم العلامة اللغوية وأنواعها .

2. تحوّل اللسان إلى الكلام:

كثير من اللغات لا تمتلك إلا لفظة واحدة تُدلّل بها على معنى **اللسان واللغة***، كما قد تُستعمل الكلمتان في اللغة الفرنسية مثلاً langue وlangage بمعنى واحد، كمترادفتين؛ فنقول لغة الحيوان، واللغة الإعلامية، ولغة الآلات، والمعنى المرجو "اللسان"[2]، ولا تأويل لهذه الاعتباطية في التداول إلا لكون معنى اللفظتين من طبيعة واحدة، لكن في إطار الدراسة العلمية من اللازم تحديد المفاهيم وإزالة الفروق والاشتباهات التي قد تعيق سيرورة البحث العلمي.

يعرّف القاموس الفرنسي **"روبير الصغير"** (Petit Robert 2009) اللسان بقوله: « هو مجمل القواعد التحتية المنظمة للسان الطبيعي: إنّها تُعرف بوضوح من خلال البنيات المحايثة التي تفترضها علوم اللغة»[3]. ويُتخذ اللسان وسيلةً للتواصل ما بين أفراد جماعة سوسيو ثقافية معيّنة[4]. ويُطلق تداولاً على أيّ لسان طبيعي: كالعربية، والفرنسية، والانجليزية، الخ. وتهتم اللسانيات بدراسته وفق منهجية علمية تحاكي في صرامتها ودقتها العلوم الدقيقة.

ونعت "الاجتماعي" هو أهم نعوت اللسان لكونه حقيقة اجتماعية عكس "الكلام" الذي يُعد حقيقة فردية وفي هذا المعنى يقول "دو سوسير": «من خلال الفصل بين "اللسان" عن "الكلام"، نكون قد فصلنا في الوقت نفسه بين:

1) ما هو اجتماعي عما هو فردي.
2) ما هو أساسي عما هو ثانوي وحادث»[5].

فاللسان ليس من وظائف الفاعل المتكلم، لأنّه أوسع من أن يستجمعه عقل الفرد الواحد، إنّه ملك الجماعة، والذاكرة الجماعية. يقول **"دو سوسير"**: « يوجد اللسان في المجتمع في شكل كتلة آثار (empreintes) مخزّنة في عقل كل فرد، تقريباً مثل القاموس الذي تتشابه نسخه الموزعة على أفراد الجماعة»[6]. فكل فرد يستعمله (اللسان)، ويشارك في عملية إنتاجه لكن من الاستحالة حصر وجوده في عقل الفرد الواحد.

ولما كان اللسان (موضوع اللسانيات) متعدد الأوجه: صوت، وتركيب، ودلالة، ورسم، وتاريخ، الخ، أفردت اللسانيات لكل من هذه الموضوعات علماً خاصاً: فالفونيتيك والفونولوجيا تهتمان بدراسة الصوت،

وعلم التركيب syntaxe يبحث في علاقات الكلمات ووصف قواعد التنظيم في إطار الجملة، وأما المفرداتية lexicologie فتخص دلالة الكلمات بالدراسة، الخ.

وإذا مثّلت ثنائية (اللسان/ الكلام) معنى التقابل فإن في ثنائية (اللغة/ الكلام) معنى أقرب إلى الائتلاف من الاختلاف؛ بحيث تتخذ اللغة – انطلاقاً من معاينة خارجية- شكلاً مادياً مختلفاً: إنّها تبدو في سلسلة أصوات متمفصلة (articules)، أو كذلك شبكة من الآثار (marques) المكتوبة، أو منظومة من الحركات[7] (والإيماءات)، وهذا ما يجعل اللغة تتسع لمعنى أكبر من المتصورات التي تُسند معنى اللغة إلى المنطوق الصوتي وحسب، فأطروحة المدرسة الوظيفية* تركز على الملمح التواصلي للغة، وتولي اهتماماً كبيراً بالجانب الصوتي وبالخصوص فيما يتعلق بالتواصل البيذاتي communication intersubjective[8]، فعلى الرغم من أنّ اللغة تشتمل على عوامل جدّ مهمة كالصوت، إلاّ أنّ الوقوف عند حدوده يدور في مدار التصوّر الذي يرى الصوت هو مادة اللغة الوحيد، لكن هناك عوامل أخرى كالحركات والإيماءات التي لها من الأهمية في تحقيق اكتمال العملية التكلمية ما تماثل بها الجانب الصوتي.

ومن جانب آخر، اتّضح أنّ هناك أشياء كثيرة من حولنا قد تغدو مشحونة بدلالات مختلفة؛ فمنظر طبيعي، أو مدينة جديدة، أو لوحة فنيّة[9] تكون محلّ دلالات لأيّ شخص مشاهد من دون أن يكون المعنى في هذه المقامات تحت تأثير أي فاعلية قصدية.

وأما الكلام فتربطه باللسان علاقة كينونة ووجود؛ بحيث لا وجود للسان إلا بفعل الكلام الذي ينقله من عالم التجريد إلى الواقع، ولا وجود للكلام إلا باللسان الذي يُعد محلاً للقاعدة، والتنظيم، والإصطلاح، الخ، إن الكلام هو الاستعمال الفعلي للنسق اللساني، فعندما يشرع المتكلم في استعمال اللسان، يتم الانتقال إلى موضوع آخر، إلى فعل الكلام Acte de parole. وها هنا تتجلّى إشكالية التلفظ.

1.2 التلفظ نِتاج الكلام:

وضعت لسانيات **"دو سوسير" الكلام في تقابل مع اللسان**، لكنّها لم تولِ طرفي الثنائية الاهتمام نفسه، بل القيمة كلّها ألحِقت **باللسان**، الموضوع الرئيس والأساس في مبحث **"دو سوسير"** الجديد: اللسانيات.

ووجود **الكلام** خارج قائمة المفاهيم ذات الامتياز الواسع في برنامج **"دو سوسير"** العلمي (اللسانيات)، لا يقلل من أهمية هذا المفهوم في فضاء البحث العلمي. وإنّما سيؤكد وجوده ويعلو شأنه لدى مباحث مختلفة لسانية، وسيميائية، وتداولية وفلسفية، في مرحلة تتلو مرحلة التأسيس التي عمل **"دو سوسير"** على إرساء مبادئها العلمية ومفاهيمها الدقيقة. كما اتّضح أنّ مصطلح الكلام جيء به لتحديد مفهوم اللسان[10]، ثم تحوّل التداول العلمي عنه، لكن استمر معناه في تشكلات مفرداتية (مصطلحات) متعدّدة تدل كلّها، من قريب أو بعيد[11]، على معنى **الكلام**، ومنها:

- الإجراء "procès" الذي يضعه **"يامسليف"** "Hjelmslev" في تقابل مع النسق "Système".

- المرسلة "message" في مجال نظرية الاتصال.
- الخطاب "discours" عند بنفينست E. Benveniste الذي يدل على معنى الكلام ويضعه في تقابل مع اللسان.
- الأداء "performance" في تقابل مع الكفاءة "Compétence" في النظرية التوليدية عند **تشومسكي** N. Chomsky.
- الاستعمال "Usage" الذي يضعه **"يامسليف"** مع الخطاطة Schéma.
- الأسلوبية Stylistique التي توضع في تقابل مع اللسانيات.

وإذا كانت هناك خاصية يجتمع عليها هذا التعدّد المصطلحي فهي خاصية: "الفردية" "Individuel" التي يستدعي مفهومها معنى الاستعمال والاختلاف، والتحوّل على عكس ما نلفيه في مفهوم اللسان الجامع لمعاني: الثبات، والعموم، والاجتماعي.

2.2 تيبولوجيا العلامات:

استهدف التنبؤ السيميائي مع "دوسوسير" إحصاء العلامات , وجرد أنواعها ′ووصف وظائفها في إطار عالم سوسيو ثقافي[12] معّين , حيث قال في محاضراته:" ...العلم الذي يدرس حياة العلامات ضمن الحياة الاجتماعية " , و هذا الإقرار يضع سيميائيات " دوسوسير" على منحى واحد تقريبا مع سيميائيات "بورس" [13] , و بالإمكان وفق هذا التصّور إقامة تيبولوجيا للعلامات إسنادا إلى حواسنا الخمسة[14] التي تسمح لنا الشروع في عملية التواصل مع عالمنا, ذلك لأنّ فضاء المعنى لا يقف عند حدود علامة بعينها , إنّما يستدعي باستمرار علامات من طبائع مختلفة اختلاف حواسنا :

1- العلامات المرئية :كتلك المنتمية إلى إشارات المرور, و كالكتابة, و الرّسم, و الصورة , و لغة الصم البكم,الخ.
2- العلامات السّمعية : كالغناء, والكلام, و الموسيقى,الخ.
3- العلامات الشّمية : وهي العلامات المنتمية إلى عالم الروائح والعطور.
4- العلامات اللّمسة :كالعلامات التي ترتكز عليها لغة البراي Braille, و نوعيات القماش, الخ.
5- علامات ذوقية :المستعان بها في عالم المشروبات والخمور.

وقد يتطلب بلوغ الدلالة الاقتصار على حاسة واحدة , كما يحتاج إلى قدرتنا الحسية كلّها .فمشهد فلم مصّور مثلا [15] يوظّف الصورة, ويستعمل الخطاب اللّفظي , ويدرج الموسيقى ′ و أمّا المسرح فيقدّم لغة بالغة التعقيد قد تستدعي جلّ الحواس.

و الظاهر أنّ هناك بعض اللّغات (العلامات) تستدعي عامل الزمن [16], بحيث يرتبط وجودها به , كالفلم المصّور مثلا , والحوار اللفظي , و الموسيقى و الإيماء . وهي تخضع لنظام التتابع (السابق واللاحق) (Antériorité-Postériorité).

وإمّا النوع الثاني من العلامات فهو لا يحتاج إلى الزمن , بل تعتمد على الترابط Concomitance[17] و يراهن عليه , كالصورة الثابتة , و الرّسم , الصورة الإشهارية , الفوتوغرافيا, الصورة الزيتية , و النّحت. واستنادا إلى عامل الفضاء [18] , بمقدورنا التّمييز بين لغات لا تحتاج إلاّ إلى بعدين كالصورة , و الرّسم , و لغات أخرى تحتاج إلى أبعاد ثلاثة كالإشارات , و النّحت, و الهندسة المعمارية , الخ.

3.2 مكونات العلامة

إنّ مفهوم اللغة في التصور السيميائي يتمّيز بامتداد أوسع من ذاك الذي نلفيه عند بعض اللسانيين (مارتيني مثلا) , فهو لا ينتهي عند حدود الألسن الطبيعية , بل تشمل كل الأنساق التمثيلية [19], وفي الوقت ذاته , لا يتعدى تركيب العلامة في النظرية السيميائية , طرفي الدال و المدلول , أو العبارة و المضمون .

ذلك لأن عملية الوصف السيميائية تنطلق من فرضية ترى أنّ أيّ علامة , و أيّ ملفوظ ' أو خطاب , بالمعنى الأوسع , بوصفه شكلا سيميائيا , يُعمل باستمرار مستويين : مستوى العبارة و مستوى المضمون . وهما في علاقة افتراض متبادل [20] بحيث لا وجود لأحدهما من دون وجود الطرف الأخر.

و الظاهر أنّ هذا التصّور لا يخص العلامة اللسانية فقط , بل كل العلامات بأنواعها [21] , فاللباس , والسيارة , و طبق الطعام , و موسيقى و صورة إشهارية , و بناية , و عنوان جريدة , كلها علامات تثير فينا فاعلية –القراءة- ووفق هذا المعنى , يغدو حال السيميائي كحال اللساني بحيث يستوجب عليه الدخول في "مطبخ المعنى" من خلال ربط العلامات بسياقاتها , من جهة , و من خلال ربط طرفي العلامة من أجل بناء المعنى و إنتاجه من جهة أخر.

3. طبيعة طرفي العلامة:

إنّ كل من الدال و المدلول من طبيعة نفسية و الاختلاف الوحيد بين هذين الطرفين هو كون الدال واصل Médiateur , ذلك لأنّ المادة أساسية لديه , لكنّها لا تمثّله , فلا أحد ينكر وجود الجوهر المادي للدال (من صوت , صورة , الخ) لكنه لا يمثّل الموضوع السيميائي المستهدف بحال.

وأمّا المدلول فقد أشار "دوسوسير" نفسه إلى طبيعته النفسية [22] من خلال وسمه بـ مفهوم" Concept". فمفهوم "ثور" إنّما هو الصورة النفسية التي يثيرها الخارج و حسب.

"إنّ الموضوع السيميائي متعلق بشكلي العبارة والمضمون ولا يبدي اهتماما بالجوهر.

1.3 العبارة و المضمون:

مفهوما "يامسلف" يتطابقان مع الزوج المفهومي السوسيري الشهير: الدال و المدلول .وما يؤكد هذا الاشتراك الدلالي هي علاقة الافتراض المتبادل Présupposition Réciproque التي تجمع بينهما , فهما كوجهي الورقة , كما يقول دو سوير, يستوجب وجود أحدهما وجود الأخر.

والثابت في اللسانيات و السيميائيات أنّ هذا التصّور للعلامة لا يخصّ العلامة اللسانية فقط , بل كلّ العلامات على اختلافها , مما يؤدي إلى انفتاح أفق البحث على كل نسق لغوي حامل لمعنى , من جهة , ويدفع بالمفاهيم اللسانية إلى الإسهام في بناء اللغة الواصفة السيميائية ما دامت تشترك معها في التصّور الواحد.

و الظاهر أنّ دو سوسير استعمل في محاضراته زوجين من المفاهيم كان لهما المعنى نفسه , فالدال و المدلول , مطابقان للصورة الذهنية و المفهوم , ولئن كان هذا الدأب من باب الإيضاح العلمي , فالطريقة نفسها نلفيها عند "يامسليف" الذي ابتدع هو الأخر زوجا مطابقا للزوج السوسيري هما :العبارة و المضمون, ثم ألحق بكليهما شكلا وجوهرا , فالتّماثل المنحوت, بوصفه علامة, يتكوّن من صخرة الغرانيت (جوهر العبارة) , و المجسّد المنحوت (شكل عبارة). وأمّا

الذي يميّز الكلام عن المقطوعة الموسيقية , فهو شكل العبارة , ذلك لأن فضاءهما الصوتي واحد , لكن تشكلاته مختلفة , ولعلّ سبب تعدّد اللّغات والألسن مردّه إلى التباين على مستوى شكل العبارة.

و يلحق "يامسليف " بجوهر المضمون صفة الغموض الدلالي الأصيل (Nébuleuse sémantique Originelle), بحيث يبدو من المستحيل بلوغ فهم المضمون إلاّ بواسطة شكله, وأمّا جوهره فهو من قبيل الافتراض . لكن على أي محور يتم تشكّل الدلالة؟

إنّ محور المضمون هو محل ميلاد الدلالة , وذلك من خلال الفواصل الاختلافية (écarts Différentiels) بوصفها المكّون لمحوري اللّغة : العبارة والمضمون ,(ففي اللسان لا يوجد سوى الاختلافات) كما يقول " دو سوسير" و أمّا محور العبارة الذي تتجلى فيه الميزات الحسّية التي تستثمرها اللّغة , فهو كذلك يعتمد على الفواصل الاختلافية.

2.3 اللغة وعوالمها المرجعية:

يُعنى "بعالم الأشياء"l'univers référentiel" فضاء الموجودات التي تتكفل اللغة بنقلها إليها ما عدا اللغة (كائنات، ظواهر، كيفيات، حالات أشياء...(، وتُوسّم هذه اللغة بـ"اللغة الشيء" "Thing-language"[23]، وأما النوع الثاني من اللغة فتشتغل على عالم اللغة ذاته المختلف على عالم الأشياء؛ بحيث تغدو اللغة موضوعا للدراسة، وأداة في الوقت ذاته

فإذا أراد اللساني الحديث على اللغة، فليس لديه إلا أن يوظّف اللغة، وأن يستعملها لبلوغ حاجته، وليس له بديلا غيرها، على خلاف الفيزيائي، أو الرياضي، أو الرسّام، الذين لا يمكن لهم أن يستغنوا عن اللغة اللسانية "من أجل الولوج إلى عوالمهم المختلفة، وإدراكها، ونقلها إلينا، فالنسق اللغوي اللساني هو النسق المتطور بامتياز عن باقي الأنساق اللغوية الدالة الأخرى؛ فصانع الجبن[24] لا يمكن أن يكلمنا عن "عالم الأجبان" إلا بواسطة اللغة (اللسانية) التي هي بالأساس مختلفة عن عالمها المرجعي وعن "المدلول الجماعي" "Signifie mondain"[25]، كما يسميه "رولان بارث" "R.Barthes" المختلف جوهريا عن المدلول اللغوي " Signifie langagier" الذي يُعتبر الوجه الثاني المكوّن للعلامة اللسانية الواصفة "Metalinguistique".

4-يامسليف و"اللغة الواصفة":

يرجع الفضل في استظهار القيمة العلمية لمفهوم اللغة الواصفة إلى مدرسة "فيينا" المنطقية، التي أولت أهمية كبيرة في التمييز بين اللغة التي نتكلم بها، واللغة التي نتكلم عليها[26]، ثم شهد هذا المصطلح انتقالا نوعيا إلى المجال اللساني والسيميائي مع لويس يامسليف L.Hgelmslev الذي عمل على استثماره في بناء نظريته اللغوية اللسانية ("بروليغومان")[27] معتبرا "اللغة الواصفة" لغة صناعية تختلف اختلافا كبيرا عن اللغة الموضوع "Thing language"؛ فهي تمتلك قواعدها البنائية الخاصة وعالمها الخاص، وكفاءتها اللسانية المتعلقة بها، ولما اجتمعت هذه المعطيات جاء وسمها في مؤلف "يامسليف""بروليغومان" بـ: "سيميائيات"[28]، بمعنى تراتبية من التعاريف[29] (وليس من الكلمات والجمل كحال لغة التداول) القابلة لأن تأخذ شكل نسق Système أو شكل إجراء سيميائي Procès sémiotique وفي هذا المعنى يقول "ل. يامسليف": «يُعدّ "اللسان" سيميائيات، بحيث بإمكانه ترجمة باقي السيميائيات الأخرى (لغات)، وكذا باقي الألسن، وكلّ البنيات السيميائية المختلفة»[30]، وهذه الخصيصة المميزة للألسن الطبيعية تفتح مجالاتها الدلالية لتشمل كلّ الأنساق الدّالة.

4. 1-الحدّ المفهومي للتقرير والإيحاء:

يلجأ الدارسون لاستظهار القيمة العلمية للزوج المفهومي السيميو لساني التقرير/ الإيحاء Dénotation/connotation إلى ما أحدثه مؤلف "يامسليف" (بروليغومان) من قطيعة مع الدراسات التقليدية الاجتماعية والنفسية والفونولوجية... وذلك من خلال اعتناق تصوّر موضوعي شكلي صارم في مقاربة الظاهرة اللغوية الذي يعتبر "يامسليف" تجاوز البحث في جوهرها Substance هو الفارق الرئيس بين الدراسات التقليدية التي آلت إلى حدّ التعدد والتناقض والتجريد، وبين الدراسات اللسانية الموضوعية الحديثة مع "دوسوسير" و "يامسليف" [31]، وأهم التصورات تلك المتعلقة بـ "العلامة اللغوية" والعلاقة الجامعة بين جزأيها الدال والمدلول باعتبارها علاقة أولية ماثلة في كلّ العبارات Expression وفي كلّ أنساق التواصل اللغوية ويسمها "يامسليف" بالتقرير Dénotation، وأما الإيحاء Connotation[32]فيعتبره النسق الثاني لعملية الفهم Compréhension بمعنى أبعاد العبارة الدالة على مختلف المعاني الاجتماعية والثقافية، وينبغي الإشارة ها هنا إلى أهمية هذا النزوح المفهومي في الدراسات اللسانية والسيميائية عند كلّ من "يامسليف" وكذا "رولان بارث" "R. Barthés"[33] الذي أبان عن القيمة العلمية الكبيرة للمفاهيم السيميولسانية في مؤلفه الشهير "مبادئ السيميولوجيا" 1963.

والظاهر أن التفريق بين الإيحاء والتقرير والتمييز بينهما لا يتأتى إلا من خلال تحديد "السنن" "Code" الذي يمثّل مركز الاختلاف:

علامة 1

دال+مدلول	مدلول

علامة إيحائية

علامة 2

دال	دال + مدلول

لغة واصفة

وكما هو مبين في الأنموذج يمثل المعنى التقريري في العلاقة الأولى البسيطة التي تجمع طرفي العلامة، وأما الإيحاء فتغدو العلامة الأولى بطرفيها (الدال والمدلول) دالا يحيل بدوره إلى مدلول ثانٍ وِفق سنن مخصوص Code.

ولا ينبغي في هذا المقام أن يُفهم من العلامة المعنى اللساني، وإنما المقصود كلّ العلامات وكلّ الأنساق الدالة سواءً كانت من طبيعة لسانية أو غير لسانية، ووِفق "ترمينولوجيا" "يامسليف" كلّ نسق دلالي يشتمل على مستويين:

1- مستوى العبارة .expression

2- مستوى المضمون contenu.

ولا يتحقق أيّ وجود دلالي إلا بالتقاء المستويين[34]:

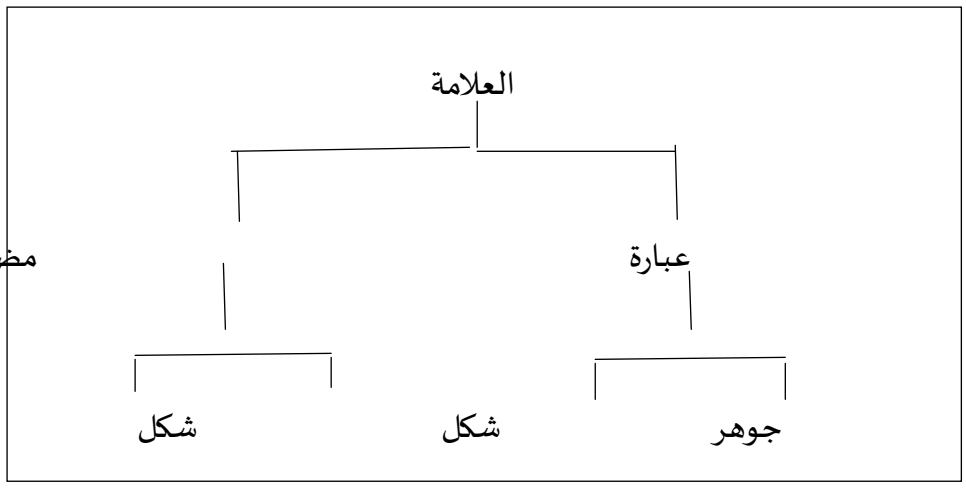

جوهر

وبإمكان النسق الدلالي الواحد أن يتحول بدوره إلى طرف بسيط في تركيبة نسق دلالي ثان، وفي هذه الحال نكون أمام نسقين دلاليين، يكون أحدهما جزءا من الثاني، وهذه التركيبة الثنائية يسمها يامسليف

بـ: السيميائيات الإيحائية Sémiotique connotative [35]، ومن اللازم أن نشير هنا إلى أنّ الدال في النسق الإيحائي Connotateur لا يخضع بالضرورة إلى تصور مخصوص أو إلى شكل معين وإنما قد يدخل في بنية هذا النسق مقاطع واسعة ومختلفة (لسانية وغير لسانية) لتغدو وهي ضمن بنية النسق الإيحائي استثمارا دلاليا[36] من الدرجة الثانية.

وللتدليل على هذا المعنى سنرى كيف تتحوّل أشياء العالم البسيطة الموجودة في حياتنا اليومية والتي تعتبر جزءا من حضارتنا إلى علامات مشبّعة بالمعاني والدلالات مع خطاب "رولان بارت"[37] الواصف للوحات الفنية للرسام الهولندي "سردام" "Saenredam".

2.4-الخطاب الواصف: من المرئي إلى اللساني:

نلفي في المتاحف الهولندية من الرسامين من فرض وجوده، وأثبت أسلوبه الفني بين معاصرين، بحيث لا نجد في لوحات "سردام" الفنية العديدة، لا صورا للملوك، والأمراء، والقديسين، ولا أشياء العالم النفيسة، وإنما عكف هذا الفنان على رسم الأجواء الداخلية لكنائس مهجورة ليفصلها عن ظاهرها الهندسي المعماري المتفرّد بجماليته، متجاوزا بذلك المألوف في أسلوبيات الرسم الفني آنذاك، ومختارا بكل اقتناع مخالفة التصور الفني الكلاسيكي الثابت لدى معاصريه؛ فلا وجود في لوحاته إلا صورا لساريات، ومعابر من خشب وكِلس وواجهات عديمة المعنى Insignifiante ليجسّد الصمت، وليحول فضاء العبادات والمناسك والصلوات إلى سلطة الإنسان وحاكميته على الأشياء الموجودة من حوله، فالعالم الفني المشكل في هذه اللوحات الماثل في تلك الأشياء المتناثرة... على الطاولات وعلى الجدران وعلى الأرض؛ من الأواني والأباريق المقلوبة، والسِّلل المشتتة، والكؤوس، وأصناف الخضر... كلّها تمثل الإنسان وتستنطق فضاءه وزمانه الذي يبدو مُغطى بالاستعمالات " Usages"، فتسخير الأشياء واستعمالها كما يقول "بارت" لا يمكن إلا أن يساعد في تبديد شكلها الأول وتجاوزه إلى ما يزيد في إثراء نعوتها وسيماتها المتعلقة أشدّ التعلق بالاستعمال البشري.

إنّ هذا التأويل البارتي له إحداثيات خاصة، تدخل ضمن شبكة من الخطابات التأويلية التي تتقاطع كلها في نقطة واحدة هي "إنتاج المعنى" لكن حسب قواعد يعلمها العام والخاص، ذلك لأنه لا جدوى من الشروع في توجيه خطاب مجهول القواعد[38]، فقد لا نعير أدنى اهتمام لكثير من الرسومات البدائية لأننا ببساطة نحنكم إلى قواعد تحويلية مُغايرة وهذا ما يثبت أهمية "السنن Code" في التأويل وفي استجلاء الدلالة الايحائية وفي توليد ما سبق وسمه "بالمدلول اللغوي" "Signifie langagier" .

3.4--حدّ اللغة الواصفة:

إنّ المقصد في إيراد خطاب "بارث" الواصف إنما كان لسبب التدليل على بيان مقدرة النسق اللساني في ترجمة نسق الصورة من جهة، واستظهار الدلالة الإيحائية من جهة أخرى بينما يتجلى معنى اللغة الواصفة

الشبيه بمعنى الإيحاء في اعتبار العلامة العادية في كليتها (بطرفيها الدال والمدلول) مدلولا لغويا من الدرجة القانية على خلاف الإيحاء الذي تتحول فيه العلامة إلى دال من الدرجة الثانية[39].

علامة 1

دال+مدلول	مدلول

علامة إيحائية

علامة 2

دال	دال + مدلول

لغة واصفة

ويتجلى معنى "اللغة الواصفة" بوضوح في خطابات اللساني الذي يهتم باللغة باعتبارها موضوع درسه من جهة وبوصفها أداة دراسته من جهة أخرى (سواء كان معلنا أو متعلما أو شارحا) وهناك من الشواهد على خطابات اللغة الواصفة ما يزيل أي لبس أو خلط بين المعنيين: الإيحائي واللساني والواصف، فشواهد خطابات اللغة الواصفة التي نلفيها في القواميس والمعاجم والشروح النحوية لَأَبيَن مثال على فعل اللغة وهي تتكلم على اللغة، ومن الشواهد متن ألفية ابن مالك، وهي تصف نظم الكلام:

كلامُنا لفظٌ مفيدٌ كاسْتقمْ اسمٌ وفعلٌ ثم حرفٌ كلم

واحدة كلمة والقول عمْ وكلمة بها كلام قد يُؤم

بالجرّ والتنْوين والنِّدَا وألْ ومُسند للاسم تمييزٌ حصل

ومن الأهمية بمكان التأكيد في هذا المقام أنه ليس ثمة من مانع يحول دون تحوّل "اللغة الواصفة" إلى "لغة موضوع" للغة واصفة ثانية، فإمكان "متن الألفية" الذي جيء به كمثال على معنى اللغة الواصفة أن يتحول بدوره إلى لغة موضوع؛ إذ أحيط بالشروحات التعليمية.

4. تحليل النتائج:

في اللغة مواطن لا يزيد طول التأمل فيها إلا الإعجاب و الحسن و الإمتاع كحال الإبداع الفني الواصف لعالم الأشياء المحيطة بنا و هناك مواطن أخرى تقوم مقام الذي يعمل كلامه على كلامه إن على سبيل :

أ- وصف مجاري الدلالة و تدفق المعنى و تشكلات مختلف الأنساق اللغوية ، و هو الذي عملنا على إيضاح حدود معانيه في معنى اللغة الواصفة (**Métalangage**).

ب- و تمت مواطن أخرى في اللغة تكشف عن عطاء ثان يرتد إلى ذات اللغة و لا يخرج عن مدارها ليعيد استثمار علاماتها من جديد و هذا الذي أوضحنا حدود معانيه في ما وسمناه باللغة الايحائية(**Connotation**).

و الظاهر البين أن التفرقة لبي هادين القسيمين اللغويين (اللغة الواصفة و اللغة الإيحائية)إنما يرتد أساسه إلى حسن التمييز بين مرجع اللغة العادية الموسومة بعالم الأشياء و المرجع اللغوي الثاني الذي يرتد إلى ذات اللغة واصفا اياها و مستثمرا لعلاماتها و الموسوم بالعالم اللغوي و لهذا السبب يوصف هدا النوع من اللغة على أنه توظيف لغوي من درجة ثانية .

5. خاتمة:

إنّ الكلام على الكلام يدور على نفسه، ويلتبس بعضه ببعض، ولذلك وصفه أبو حيان التوحيدي بـ"الصّعب"، فمحلّ الاختلاف بين الكلام الواصف والكلام الموصوف إنما يتمثل في اختلاف عالميهما؛ عالم الأشياء أو العالم الجامع mondain الذي تتعلق به اللغة العادية وعالم اللغة langagier الذي ينتمي إليه الفعل اللغوي الواصف، ولذلك كان من الصعب فهم خطاب اللغة الواصفة من دون كفاءة لسانية خاصة بها

(métalinguistique) ذلك لأنها تمتلك قواعدها البنائية الخاصة بوصفها لغة صناعية مختلفة عن لغة التداول، ولذلك قال الأعرابي وهو يستمع إلى خطاب النحاة: «أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا»[40] إنها لغة خرجت عن عالمها الأول فاقدة التشخيص المكاني والزماني إلى عالم آخر بديل وُسم "باللغوي.

إن العمل على تحديد المفاهيم العلمية و فقه معانيها و استظهار أصولها و أبعادها الاجرائية هو أساس بناء الخطابات العلمية التي تنشد الدقة و الموضوعية ، و لأن هذا هو المعتقد الذي انطلقنا منه ، رأينا أنه من اللازم ثقفي كبرى المفاهيم العلمية التي تستجمع في فلكها مفاهيم تشاركها قيمتها العلمية (مفهوم الايحاء، اللغة الواصفة ، العلامة و أنواعها و عوالمها و مرجعها) .

---

[1] ينظر: عادل فاخوري، تيارات في السيمياء، دار الطباعة للنشر ،بيروت، ط.1، 1990.

* - كاللغة الانجليزية والألمانية اللتان تدلان على معنى اللسان واللغة بـ: language(الانجليزية) وsprache (الألمانية).

وفي اللغة الفرنسية كانت الكلمات: اللسان واللغة تدلان على معنى واحد حتى القرن العشرين مع تطور البحوث اللسانية والسيميائية.

[2] - J. Courtés, analyse sémiotique du discours, éd .Armand Collin, paris, 2005 ,p.9.

[3]3 - Paul de Robert, le nouveau petit Robert,sous la dir.j.Rey Debove et A.Rey.éd.2009,p100.

[4] - J. Courtés, Analyse sémiotique du discours, p.10.

[5]- F. de Saussure, cours de linguistique générale, éd .Payot, paris,1962, p.30.

[6] - F. de Saussure, cours de linguistique générale, p.30.

[7] - J. Kristeva, Le langage, cet inconnu, une incitation à la linguistique, éd. du Seuil, Paris, 1981, p.12.

* وبالخصوص مع أوندري مارتيني - Andrés Martinet.

[8] - J. Courtés, Analyse sémiotique du discours, p.11.

[9] - J. Courtés, Analyse sémiotique du discours., p.11.

[10] - A.J. Greimas et J. Courtés, Sémiotique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, éd. Hachette, Paris, 1979, p.270.

[11] - Ibid., p.269.

[12] J.Courtes, analyse sémiotique du langage, éd.Harmand Colin, Paris, 2005,P.22.

[13] Ibid.,P.22.

[14] Ibid.,P.23

[15] J.Courtes, analyse sémiotique du langage, éd.Harmand Colin, Paris, 2005.,P.23

[16] J.Courtes, analyse sémiotique du langage P.23.

[17] J.Courtes, analyse sémiotique du langage.,P.23

[18] Ibid.,P.24

[19] J.Courtes, analyse sémiotique du discours, P.12.

[20] J.Courtes, analyse sémiotique du discours,p.16.

[21] Ibid.17.

[22] R.Barthès,l'ancienne rhétorique Aide mémoire in l'aventure sémiotique.,P.42.

[23] Ibid, p21.

[24] Ibid, p21.

[25] R. Barthies, système de la mode, , paris, ed.minuit, paris,1971;p32.

[26] A.J.Greimas etCourthes, semiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage ; éd, hachette, paris, tome1 , 1979, p224.,.

[27] L. Hyelmslev, prolégomène, à une théorie du langage, éd. Miniut, paris, 1971.

[28] Ibid, p.21.

[29] Ibid, p.135.

[30] Ibid, p. 138.

[31] دايري مسكين، دلاليات التلفظ عند "جوزيف كورتيس"، فعالية المفاهيم اللسانية في المقاربة السيميائية، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ط1، 2018، ص106

[32] L. Hyelmslev, prolégomène, p.151.

[33] R. Barthés, le degré zéro de l'écriture, éléments de la sémiologie, éd. Du seuil, paris, 1964.

[34] ينظر: دايري مسكين، دلاليات التلفظ عند جوزيف كورتاس، ص 105.

[35] L. Hyelmslev, prolégomène, p.151.

[36] J.rey-debove , le métalangage, p.19.

[37] R. Barthes, Essais critique, éd. Du seuil, paris, 1964, p.22.

[38] U. ECO, la production des signes, éd. Livre de poche, paris, 1992, p.119.

[39] J. Rey- Debove, le metalangage, p19.

[40] أبو حيّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 2009، ص279.